نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

الجزء الأول

تحقيق

عبود الشالجي

المحامي

دار صادر

١٣٥

سبب اتصال أبي يوسف القاضي بالرشيد

وحدّثني أبي ، قال :

كان سبب اتّصاله[١] بالرشيد[٢] إنّه قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة ، فحنث بعض القوّاد في يمين ، فطلب فقيهاً يستفتيه فيها ، فجيء بأبي يوسف ، فأفتاه أنّه لم يحنث ، فوهب له دنانير ، وأخذ له داراً بالقرب منه ، واتّصل به .

فدخل القائد يوماً إلى الرشيد ، فوجده مغموماً ، فسأله عن سبب غمّه ، فقال : شيء من أمر الدين قد حزبني[٣] ، فاطلب لي فقيهاً أستفتيه ، فجاءه بأبي يوسف .

قال أبو يوسف : فلما دخلت إلى ممرّ بين الدور ، رأيت فتى حسناً ، أثر الملك عليه ، وهو في حجرة في الممرّ محبوس ، فأومأ إليّ بإصبعه مستغيثاً ، فلم أفهم عنه إرادته ، وأدخلت إلى الرشيد ، فلما مثلت بين يديه ، سلّمتُ ، ووقفتُ .

فقال لي : ما اسمك ؟

قلت [٨٢ ب] : يعقوب . أصلح الله أمير المؤمنين .

قال : ما تقول في إمام شاهد رجلاً يزني ، هل يحدّه ؟

قلت : لا يجب ذلك .

---

١ يعني أبا يوسف القاضي .

٢ الخليفة هارون الرشيد : أشهر من أن يعرف ، أشهر الخلفاء العباسيين ، وكان يتشبه في أفعاله بالمنصور ، وكان شديداً على العلويين ، أعطى يحيى بن عبد الله أماناً بخطه ثم قتله ، وحبس الإمام موسى الكاظم ثم قتله ، وأظهر أنه مات حتف أنفه ، ونكب البرامكة النكبة الشهيرة ، واستأصل شأفتهم ، جبى الرشيد معظم الدنيا . وتوفي بطوس في السنة ١٩٣ (الفخري ١٩٣) .

٣ الحزب : الغم .

قال : فحين قلتها سجد الرشيد ، فوقع لي إنّه قد رأى بعض أولاده الذكور على ذلك ، وإنّ الذي أشار إليّ بالاستغاثة ، هو الابن الزاني .

قال : ثم رفع رأسه ، فقال : ومن أين قلت هذا ؟

قلت : لأنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم ، قال: ادرؤوا الحدود بالشبهات ، وهذه شبهة يسقط الحد معها .

فقال : وأي شبهة مع المعاينة ؟

قلت : ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى ، والحكم في الحدود لا يكون بالعلم .

قال : ولِمَ ؟

قلت : لأن الحدّ حقّ الله تعالى ، والإمام مأمور بإقامة الحدّ ، فكأنّه قد صار حقاً له ، وليس لأحد أخذ حقّه بعلمه ، ولا تناوله بيده ، وقد أجمع المسلمون على وقوع الحدّ بالإقرار والبيّنة ، ولم يجمعوا على إيقاعه بالعلم .

قال : فسجد مرّة أخرى ، وأمر لي بمال جليل ، ورزق في الفقهاء في كل شهر ، وأن ألزم الدار .

قال : فما خرجت ، حتّى جاءتني هديّة الفتى ، وهديّة أمّه ، وأسبابه ، فحصل لي من ذلك ، ما صار أصلاً للنعمة ، وانضاف رزق الخليفة ، إلى ما كان يجريه عليّ ذلك القائد .

ولزمت الدار ، فكان هذا الخادم يستفتيني ، وهذا يشاورني ، فأفتي وأشير ، فصارت لي مَكنَةٌ فيهم ، وحرمة بهم ، وصلاتهم تصل إليّ ، وحالتي تقوى .

ثم استدعاني الخليفة ، وطاولني ، واستفتاني في خواصّ أمره ، وأنِسَ بي .

فلم تزل حالي تقوى معه ، حتّى قلّدني قضاء القضاة .